﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾ [الرّوم: 26 - 27]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قَبْلَهُما:

العلاقة بين البعث والنّشور، وبين آيات الله في بدء الخلق وإعادته، بعزّته وحكمته

ذكرت الآيات السّابقة دلائلَ على وحدانيّة الله ﷻ، وعلى البعث بعد الموت، فجاءت هذه الآية كالنّتيجة المحصّلة لما سبق[1]؛ ببيان قهره سبحانه فوق العالمين[2]، وخضوع المخلوقات له في الحياة الدّنيا، وفي يوم الدّين[3]، وهو أنّه لا إله إلّا هو، وأنّه المتفرّد بكماله وجلاله، والأحد الّذي ليس كمثله شيء، لأنّه العزيز الّذي لا يغالَب، والقويّ الّذي لا يُضام، وهو الحكيم في خلقه وتدبيره، فلا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يوجد الكون باطلًا[4].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿قَٰنِتُونَ﴾: (قنت) أصلٌ يدل على الطّاعَةِ، يُقال: قَنَتَ، يَقْنُتُ، قُنوتًا، أيْ: أطاعَ وخَضَعَ وسكن[5]، وتدُلُّ على طاعةٍ وخيرٍ في دينٍ[6]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التّحريم: 12]، ويُطلق القُنوتُ على طولُ القيامِ، ومِنهُ سُمّيَ القيامُ في الصَّلاةِ قُنوتًا[7]، وعليه فحقيقة القنوت العبادة والدّعاء لله، في حال القيام، ويجوز أن يقع في سائر الطّاعة؛ لأنّه إن لم يكن قيامًا بالرّجلين، فهو قيام

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 21/ 41، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 82.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 76.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 82.
(4) أسعد حومد، أيسر التّفاسير، ص: 3317 - 3318.
(5) الجوهريّ، الصّحاح، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (قنت).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قنت).
(7) ابن دريد، جمهرة اللّغة، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (قنت).

بالشّيء بالنّية، ويقال للمصلّي قانت[1]، القنوت على أربعة أقسام: الصّلاة، وطول القيام، وإقامة الطّاعة، والسّكوت[2]، والمشهور في اللّغة أنّ القنوت الدّعاء، وحقيقة القانت أنّه لقائم بأمر الله، فالدّاعي إذا كان قائمًا، خصّ بأن يقال له قانت، لأنّه ذاكر لله تعالى[3]، ومعنى القُنوتِ في الآية: الخضوع والسّكون بين يديه تعالى.

2) ﴿أَهْوَنُ﴾: (هون) أصلٌ يدُلُّ على سُكونٍ أو سكينةٍ أو ذُلٍّ، من ذلك الهَوْنُ: السَّكينَةُ والوَقارُ، قال اللّهُ سبحانه: ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: 63][4]، والهَونُ: مصدر هان عليه الشّيء أي خفَّ، وهَوَّنَهُ الله عليه، أي سهَّله وخفَّفه، وشيء هيِّن، على (فَيْعَل)، أي سهل[5]، وفي قول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، قيل معناها: وهو هيّن عليه، وقيل: الهاء في عليه راجعة إلى الإنسان المخلوق، كأنّه قال: وهو أهون على الإنسان من إنشائه النّشأة الأولى، قال أبو إسحاق الزّجاج: خاطب الله ﷻ العباد بما يعقلون، فأعلمهم إنّه يجب عندهم، أن يكون البعث أسهلَ من الابتداء، وجعله مثلا لهم[6]، والمُرادُ بأهون في الآية: السَّهْلُ حُصولُهُ، بمعنى أنّ الخَلْقَ الثّاني، أسهلُ من الخَلْقِ الأوَّلِ[7].

3) ﴿ٱلْمَثَلُ﴾: أصل معنى (مثل) الشّبه؛ وهو على ثلاثة جوانب: أحدها: الوجه المناسب لمشابهة المثال للمعنى؛ فهذا مَثَل لكذا أي نموذج مناسب لذلك المعنى، فحاتم الطّائي هو أحسن مثل للكرم، وأيّوب هو أحسن مثل للصّبر، فكان المثال مناسبًا لذلك المعنى، والثّاني: هو مشابهة شيء لشيء، لاتّفاقهما في معنى معيّن[8]؛ أي هذا مثل هذا أي شبيهه، ومنه قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشّورى: 11]، لأنّ الله تعالى ليس له شبيه[9]، والثّالث أن يُذكر وصف عند المثال المناسب للمعنى، فيستحضر معه المستمع النّموذج الأوّل والمعنى المشترك؛ فأُطلق المثلُ على تمام مناسبة المعنى، وأُطلق على مشابهة مثال لمثال، وأُطلق

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (قنت).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (قنت).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (قنت).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن الأثير، النّهاية: (هون).
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (هون).
(6) الهرويّ، الزّاهر في غريب ألفاظ الشّافعيّ، ص: 59.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 83.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مثل).
(9) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (مثل)، والفيروزأباديّ، بصائر ذوي التّمييز: 4/ 482.

كذلك على القول الّذي يشير إلى ذلك المعنى، ومعنى المثل في الآية: أنّ للّه تعالى المعنى الأسمى؛ لأنّه النّموذج الأعلى شأنا، والّذي لا يصلح معه إلّا القول المناسب لعلوّ منزلته سبحانه[1].

4) ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾: (علو) أصل واحد يدلّ على السّموّ والارتفاع[2]، لا يشذّ عنه شيء، ومن ذلك العلاء والعلو، والعلوّ: أصل البناء، ومنه العلاء والعلوّ، فالعلاء الرّفعة، والعلوّ العظمة والتّجبر، يقال: علا ملك في الأرض، أي: طغى وتعظّم، قال اللّه ﷻ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: 4][3]، وعليٌّ أي شريف رفيع مثل صبيّ وصبيّة، وعلاه غلبه، وعلاه بالسّيف ضربه، و(علا) في الأرض تكبّر[4]، والعلاءُ الرِّفْعَةُ: عَلا المَلِكُ في الأرضِ عُلوًّا كبيرًا، قالَ اللّهُ تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: 4]، والأعلى: الأشرفُ والأفضلُ[5]، والأعلى في الآية: معناهُ الأمثل والأعظمُ البالغُ نهايةَ حقيقةِ العَظَمَةِ والقوَّةِ[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ثباتُ عظمة الله في كونه وخلقه، دليل على أنّه لا يعجزه خلق النّاس ولا بعثهم

للّه ملْكُ السَّمَواتِ والأرضِ برمّته، ومن فيها لا يفتؤون خاضِعينَ لوحدانيّته، مَقهورينَ في كونه بإرادته، وهو الَّذي يُنشيء الخَلق مِن عَدَمٍ بقدرته، ويميتهم في الدّنيا بإرادته، ويُعيدُهم بعدَ مَوتِهم بقيّوميّته، وإعادةُ الخَلقِ، أيسَرُ مِن ابتِداءِ الإيجاد، إذ إنّ إعادة الشّيء أيسر من إبتدائه، فهو وحده الموصوف بالكمال، وليس كمِثْلِه شَيءٌ، في الذّات ولا في الصّفات ولا في الأفعال، قدرته كاملة، وحكمته شاملة، وله المثل الأعلى، في الأرض والسّموات العلا، وهو العزيز في ملكه وسلطانه، والحكيم في تقديره وأحكامه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 84.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (علو).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (علو).
(4) الرازيّ، مختار الصّحاح: (علا).
(5) الرّاغب، المفردات: (علا).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 187.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الوصل بـ(الواو):

المنحى الاستدلاليّ، بعطف جمل السّياق على التّوالي

ابتدأت الآية بحرف الواو، في قوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾، وهو واو العطف؛ إذ عطف النّتيجة على الاستدلال، فلما سبق ذكر آيات عظيمة دالّة على وحدانية الله ﷻ، خلقا ورعاية، ورحمة وملكا، جاءت هذه الآية، لتبيّن كمال ملكه ﷻ، وتمام قهره لخلقه، مبدأ ومعادًا، فصارت الآية كالنّتيجة لما سبق[1]، ويصحّ أن تكون الجملة تكملة لقوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾، فتكون الآية مزيدَ بيان لخروج الخلق للجزاء[2].

نكتةُ استعمال (اللّام) في (لَهُ):

تمامُ الملك لله، لا يشاركه فيه سواه

عبّرت الآية باللّام في متعلّق الخبر، في قوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾، وهي لام الملك والاختصاص[3]؛ أي إنّ من في السّماوات والأرض ملك لله ﷻ، فهم خلقه وهم عباده[4]، وفي ذلك إشارة إلى تفرّده سبحانه بالتّصرّف لاختصاصه بها، فكلّ مَن في السّموات والأرض، من مخلوقات الله تعالى، الّتي ملأت الوجود، وأبانت عن عظمة الخلق، من الملائكة والإنس والجنّ، وسائر الأجناس، جميعها مطيعة لأمره، خاضعة لسلطانه وقهره[5].

دلالة تقديم متعلّق الخبر (لَهُ) على المبتدأ:

تمام التّفرّد بالملك التّامّ، دليل على عظمة العزيز العلّام

قُدّم متعلّق الخبر (له) على المبتدأ ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾، ويدلّ التّقديم هنا على قصر الملك فيه لله ﷻ، ولو عظم خطر سواه واستفحل، فله وحده الملك الأتمّ دون غيره[6]، فليس لغيره شركة في

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 21/ 41.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 82.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 82.
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 20.
(5) نخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 407.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 76.

ذلك بوجه من الوجوه[1]، فزاد لتمام الملك تمام التّفرّد به، وشبه الجملة (له)، تعني هيمنته على كلّ المخلوقات والأجناس، "أي كلّ من في السمّوات والأرض، من الملائكة والإنس، والجنّ، منقادون له تجري عليهم أحكامه، كما أرادها، فلا يتعطل منها حكم"[2].

دلالة التّعبير بالموصول ﴿مَن﴾:

عمـوميّـة الملك واتّساعه، مرعيّة الآلاء، بشهادة العقلاء

آثر سياق الآية لفظ ﴿مَن﴾ على غيره، في قوله: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾، وترجع علّة ذلك إلى أنّ كلّ من صحّ إطلاق ﴿مَن﴾ عليه، فهو ملك لله ﷻ[3]، فتغني ﴿مَن﴾، عن تعداد المخلوقات الّتي اكتظّت بها الأرض، وأطّت بها السّموات، لتسِم الملك بالاتّساع والشّمول، وتدلّ أيضًا على الأناسيّ من أرباب النّهى، وأصحاب العقول، وهم جملة الواعين بالأمر والخطاب، والعارفين بأنّ الخلق لا يكون إلّا من الخالق الوهّاب، فكان تخصيصهم بالذّكر، إشارةً إلى أنّ العاقل الواعي المتفكّر، سيكون أوّل من يشعر بعظمة ملكه ﷻ، لما يتجلّى له من الآيات والدّلائل والحجج، وفي شهادته بملك الله، دليل آخر، على كمال ملكه، وفي ذكر العاقل بـ﴿مَن﴾، تضمّن لغير العاقل من باب أولى[4].

دلالة ﴿فِي﴾ على الظّرفيّة في السّياق:

استـحـضـار الظّرفيّة، يؤكد الملكيّة المبسوطة في أقطار الكون

دلّ حرف الجرّ ﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ على الظّرفيّة، وفي ذلك إشارة إلى تحكّم الله ﷻ في ملكوته، وبسط سلطانه على الكون، فإذا كانت السّماوات والأرض خلقًا له وملكًا، فمن يكون فيهما، إنّما هو قائم وموجود، بإيجاده سبحانه لهما، وإيجاد من فيهما، وقد تمّ استحضار الأدلّة المدرجة الّتي تؤكّد تمام ملكه ﷻ، وعظمته وجلاله.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 58.
(2) أبو بكر الجزائريّ، أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير: 4/ 173.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 385.
(4) الشّعراوي، تفسير الشّعراويّ: 18/ 11383.

دلالة (أل) في لفظ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾:

عبّرت الآية بلفظ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ معرَّفة بـ(أل)، وهي العهديّة، فقد ذكرت السّماوات قبلًا، في معرض الاستدلال بخلقها، على اعتبار أنّ السّماء كلّ ما علا، وأنّها مرفوعة بغير عمد؛ لأنّها قائمة بأمر ربّها، وقد كانت منذ بداية الخلق الأوّل، آتية لربّها في طاعة وقنوت، فإذا لم تتأبّ السّماوات بضخامتها واتّساعها، عن انصياعها لربّها، وتنفيذها لأوامره الجليلة، مخبتة في عبوديّة كاملة ذليلة، فما على الإنسان إلّا أن ينسلك في ذلك المسلك، وهو بالنّسبة إليها جرم صغير، وقد حباه الله بالعقل والتّفكير، فهو بالعبادة جدير.

استذكار عظم الخلق وكمال الخالق، بعبوديّة لا تندّ عنها كلّ الخلائق

نكتةُ الفصل في الآية الكريمة:

علّة فصل جملة ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ عمّا قبلها، كونُها تقريرًا لما سبق وتأكيدًا له[1]، كأنّها نتيجة لتمام الملك؛ فمن ملك من في السّماوات والأرض وما فيهما، قنت له الجميع، وخضعت له الرّقاب، وامتلك النّواصي، من كلّ طائع وعاص، وفي ذلك تقرير يزيد هيبة الملك هيبة، ويضفي على اتّساعه جلالا وعظمة.

الإفصاحُ عمّا في الكون من إخبات وقنوت، لصاحب العزّة والجبروت

دلالةُ التّعبير بلفظ العموم ﴿كُلٌّ﴾:

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾، زاد التّعبير بلفظ العموم ﴿كُلٌّ﴾، عمومًا لما سبق في الآية من دلالة ﴿مَن﴾ عليها، وشموليّة ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾، ولعلّ ذلك لتأكيد اليقين بأنّه لا استثناء في ملك الله ﷻ، وهو تأكيد في مقابل ريبة الكفّار وغرورهم، حيث ادّعوا بأنّهم يملكون شيئًا، مع ظهور أنّ الملك التّامّ لله ﷻ، قال تعالى: ﴿أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ٣٧﴾ [الطّور: 36 - 37].

تأكيدٌ يزيل أيّ وهم، بوجود ملكٍ مع ملكه سبحانه

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 79.

معنى (اللّام) في القيد ﴿لَّهُۥ﴾:

تقويةُ تعلّق القنوت بالله صاحب الملك والملكوت

ذكرت الآية اللّام في القيد الجارّ والمجرور ﴿لَّهُۥ﴾، وهي لام التّقوية، إذ لا يتعدّى القنوت إلى معموله وحده، ولتأخيره عن معموله، فكانت اللّام لتقويّة التّعديّة[1]، - والتّعديّة هي نوع تعلّق - ؛ أي كلّ قانتون له سبحانه، مع مزيد تأكيد الملك له على اللّام السّابقة، في قوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾، فتلك للملك وهذه للقنوت، وتمام العبوديّة للّه القنوت له ﷻ.

نكتةُ تقديم القيد ﴿لَّهُۥ﴾ على متعلّقه:

قصرُ القنوت عليه سبحانه، تأكيدٌ بأنّه لا معبود بحقّ سواه

قُدّم القيد ﴿لَّهُۥ﴾ على متعلّقه ﴿قَٰنِتُونَ﴾، ونكتة تقديمه هنا هي اختصاصه ﷻ بالقنوت له، فهو قنوت له وحده[2]، والكلّ له لا لغيره ﷻ قانتون[3]، "واللّه ﷻ لا يريد أنْ يحكم الإنسان بقهر القدرة، إنّما يريد لعبده أنْ يأتيه طواعية مختارًا، فبإمكانه أن يكفر، ومع ذلك آمن، وبإمكانه أن يعصي ومع ذلك أطاع"[4].

سرُّ اختيار مادة (القنوت):

تمامُ الانقياد والاستسلام، انقياد للعزيز العلّام

آثر السّياق لفظ القنوت، في قوله: ﴿قَٰنِتُونَ﴾، وفي ذلك دلالات عديدة؛ إذ القنوت هو الانقياد وعدم الامتناع[5]، بما يشير إلى الخضوع للّه ﷻ طَوعًا أو كُرهًا[6]، بشهادة المقال إيمانًا، أو بشهادة الحال التزامًا، حيث الكلّ في قبضته ﷻ[7]، فلا يمتنع عليه سبحانه شيء يريد فعله بهم؛ من حياة أو موت، أو صحة أو مرض، أو غنى أو فقر[8]، وإن أبى بعض البشر الخضوع له سبحانه، فإنّهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 82.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 76.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 36.
(4) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 18/ 1384.
(5) البيضاويّ، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: 4/ 205.
(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 311.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 82.
(8) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 79.

سيؤوبون إليه يوم البعث، حين يقوم النّاس لربّ العالمين، ويأتون إليه وهم قانتون.

ويجوز أن يقصد بالقانتين الطّائعين، وبه قال الكلبيّ، والصّحيح أنّه عامّ، لبيان سطوته وقهرمانه، والمراد الانقياد في الأوامر التّكوينيّة، وهو ما يؤيّده قول ابن عبّاس: كلٌّ مطيعٌ له فى الحياة والموت، والبعث ونحو ذلك، وإن عصوا فى العبادة[1].

دلالةُ صوغ ﴿قَٰنِتُونَ﴾ جمعًا:

ثبـاتُ قنـوت المخلوقين لله، مهما أوتـوا من قوّة وسطوة

جاءت صيغة ﴿قَٰنِتُونَ﴾ على وزن (فاعل)، ويتميّز اسم الفاعل بالدّلالة في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه، فوصف القنوت في مخلوقات الله تعالى الّتي تملأ أرجاء السّماوات والأرض، يوصف بالثّبات والرّسوخ، وإن بدر من بعضهم التّمرّد والعصيان، فإنّهم لامحالة قانتون طَوعًا أو كُرهًا، في الرّزق والصّحة، والحياة والممات، ممّا لا خيار لهم فيه؛ لأنّ ألطاف الله تسيّره بحكمة ورحمة وحسن تدبير، والغاية من ورود القنوت بصيغة الجمع، رفع الإلباس عن أوهام النّاس، في أنّ مجموعهم، مهما بلغت قوّته وعزوته، سينتهي إلى طاعة وقنوت، لخالق الملك والملكوت، ناهيك عن الأفراد، فهم أولى بالطّاعة والانقياد، قال ابن عبّاس ﷺ: مطيعون طاعة الإرادة وإن عصوا أمره في العبادة[2].

معنى (الواو) في مطلع الجملة:

تأكيدُ أنّ البعث أيسر من الخلق الأوّل

ابتدأت جملة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ بحرف (الواو)، وهو حرف عطف جملة على جملة، ومفاده عطف كمال القدرة، على كمال القهر، في معرض توخّي نتيجة ما سبق، بحيث إنّه لمّا ذكر

(1) المظهريّ، محمّد ثناء الله، التّفسير المظهريّ: 7/ 231.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 76.

سبحانه كمال ملكه، وأكّد قنوت الخلق له ﷻ، أكّد على إمكانية البعث ويسرها، مُفضيًا إلى أنّ إعادة الخلق أهون من بدئه[1].

دلالةُ الضّمير (هو) في مطلع الجملة:

البدءُ بالضّمير تخصيص، وإعادته تأكيد

قُدّم الضّمير (هو)، في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾، ليفيد اختصاصه تعالى بالبدء والإعادة[2]، فهو لا غيره يبدأ ويعيد[3]، ويدلّ الضّمير أيضًا على تأكيد إمكان البعث، لشدّة إنكار الكفّار لذلك، فالبعث حقّ، وهو من يعيد الخلق؛ لأنّه هو من بدأه أوّل مرّة، ومن بدأ سهلٌ عليه أن يعيد[4]، وقد ذكر الشّعراويّ أنّ لفظ "(هوَ) مدلولها (اللّه)، وهو كما نعلم ضمير غيبة، والحقّ سبحانه غَيْب عن الأنظار، ومن عظمته سبحانه أنّه غيب، فلو كان مُدْرَكًا مُحسًّا، ما استحقّ أنْ يكون إلهًا، وكيف نطمع في إدراكه سبحانه، ونحن لا نستطيع أن ندرك بعض مخلوقاته؟"[5].

علّةُ التّعبير بالموصول ﴿ٱلَّذِى﴾:

القدرةُ على بدء الخلق، دليل على القدرة على إعادته

جاء التّعبير عن الحقّ ﷻ، باسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾؛ لما في حيّز الصّلة من دلالة؛ وبسبب إظهار الارتباط بين تلك الصّلات، فالّذي يبدأ هو الّذي يعيد، وفي هذا إحكام للحجّة على الكفّار؛ لأنّهم يعتقدون بأنّ الّذي خلق الإنسان أوّل الأمر هو اللّه الخالق، وهو ما يؤكّده قوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١﴾ [العنكبوت: 61]، فاتجّهت الحجّة عليهم بهوان الإعادة بعد البدء.

دلالةُ التّعبير بالمضارع ﴿يَبۡدَؤُاْ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾، عبّرت الآية بلفظ ﴿يَبۡدَؤُاْ﴾

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 79.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراوي: 18/ 11390.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 76.
(4) الشّهاب، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 7/ 118.
(5) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 18/ 11386.

مُصاغًا بصيغة المضارع، والبدء لفظ يدلّ على الإخراج من عدم[1]، وعلى الخلق من غير مثال[2]، وهو ما لا يقدر عليه إلّا ربّ العالمين، وفي ذلك تصوير لمشهد الخلق، وما يتطلّبه من إتقان وقدرة وحكمة، وصيغة المضارع تدلّ على تجدّد الخلق، قال ابن عطيّة: "وقوله يَبْدَؤُا الْخَلْقَ معناه ينشئه ويخرجه من العدم، وجاء الفعل بصيغة الحال، لما كان في هذا المعنى ما قد مضى كآدم وسائر القرون وفيه ما يأتي في المستقبل، فكانت صيغة الحال تعطي هذا كله"[3]، وتماثل تلك المخلوقات في خصائصها، خلقًا بعد خلق على نفس الشّاكلة، وذلك بفعل قدرة من لايعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء.

عظمةُ الخلق في الإنشاء بغير مثال، والتّجدّد مع بديع المنوال

دلالةُ (أل) في لفظ ﴿ٱلْخَلْقَ﴾:

عُرّف لفظ ﴿ٱلْخَلْقَ﴾ بالأداة (أل)، في قوله: ﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾، وهي (أل) الجنس؛ إذ صحّ أنّ كلّ خلق من خلق الله ﷻ، ففي خلقه إحكام الصّنع، وبديع الإتقان، وفي كلّ خلق وفرد من الخلق، تتجدّد الدّلالة على الخالق، ابتداء ودوامًا، وهذا يعنى أنّ الوجود في حركة دائمة، وفي هدم وبناء مستمرّين، وأنّ الوجود في أية لحظة، هو على غير صورته في اللّحظة السّابقة أو اللّاحقة[4].

كـلُّ خلق ففي بدئه آية، وآيات الله عبر لا تنتهي

دلالةُ التّعبير بلفظ ﴿ٱلْخَلْقَ﴾:

آثر سياق الآية لفظ ﴿ٱلْخَلْقَ﴾، لما فيه من الدّلالة على الخالق، فالخَلْق هو من وقع عليه فعل الخَلْق، واحتاج الخلق لأجل ذلك إلى بدء وإنشاء، وتحديد خصائص، وتحويل من شيء إلى شيء، وكلّ ملمح من هذه الملامح، علامة على بديع الإنشاء، وتمام الإتقان، وإعجاز الخلق مظهر لتجليّات القدرة الخارقة، الّتي أوجدت

لا بدّ للخلق من مُبدئ ومعيد، يجلّي العظمة ويبرز المعجزة

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 335.
(2) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 21/ 41، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 79.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 335.
(4) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 11/ 508.

الإنسان في أحسن تقويم، وأبدعت في خلقته وتناسق أعضائه، وتناسب سمته، بالصّورة العجيبة المبهرة، الّتي أكّدت قدرة الله القاهرة، والّتي لا يقدر البشر على مضاهاتها، ولا الإيجاد على منوالها؛ لأنّها صنعة الله تعالى، وهو الخلق على الحقيقة لا على المجاز، وهذا الأمر يلمح في كلّ ما خلق الله في الوجود، وقد قال تعالى: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١﴾ [لقمان: 11].

مناسبةُ لفظ ﴿ٱلۡخَلۡقَ﴾ للابتداء في الآية:

اكتمالُ المخلوق ابتداء بلا سبق، معجزة باهرة، وحكمة ظاهرة

ناسب ذكر لفظ ﴿ٱلۡخَلۡقَ﴾ عمليّة بدء الخلق، في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾، وتظهر مناسبته في التّكامل بين معنييهما؛ فكلاهما إيجاد، إلّا أنّ البدء يشير إلى عدم السّبق[1]؛ أي أنّه هو سبحانه الّذي يبدأ الخلق بدون مثال سابق[2]، ولا أنموذج موافق، فقد كان الخلق عدمًا، فبدأه الخالق، وهو لم يكن شيئًا مذكورًا، في حين يشير الخلق إلى التّقدير والتّصوير والتّهيئة[3]، فاكتمل المخلوق ابتداء وتصويرًا، وخلقًا وتقديرًا، من غير سبق مثال، ولا قياس خلقه على منوال، وفي ذلك من استحضار المشهد ما ينبئ عن تطابق الإعادة للابتداء، وكونها هيّنةً بالنّسبة للابتداء، وقد قيل: (أصعب الشّيء بدايته).

دلالةُ ﴿ثُمَّ﴾ في السّياق المحكم:

بين البدء والإعادة، توجد حالٌ هي فناء الخلق

عبّرت الآية بحرف ﴿ثُمَّ﴾ عاطفة لجملة ﴿يُعِيدُهُۥ﴾ على ﴿يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾، ويدلّ ﴿ثُمَّ﴾ على التّراخي الزّمني، وهي إشارة إلى وجود حال بين البدء والإعادة، وهي فناء الخلق، فالله هو المبدئ والمميت، ثمّ هو المعيد بعد الفناء[4]، وهي محلّ الاستغراب في تقديرهم؛ حيث

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (بدأ).
(2) محمّد سيّد طنطاويّ، التّفسير الوسيط للقرآن الكريم: 11/ 79.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خلق).
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 76 (بتصرّف).

يتساءلون: كيف يعود شيء بعد عدم؟! والآية تقرّر إمكان البعث، مراعية الترقّي في الاستدلال، ومقارنة بين حالين للخلق، بدءًا في الحياة، وإعادةً لما هو رفات، فيدلّ حرف ﴿ثُمَّ﴾ على التّراخي الرُّتبي، قال الطّيبي: "ويجوز أن يُحملَ ﴿ثُمَّ﴾ على مجرّدِ البُعْدِ مجازًا، فيُعتَبرُ التّراخي في الزمانِ والمَرْتبةِ معًا[1]، ممّا يخوّله أن يترقّى به الاستدلال، ويتحدّد به محلّ الاستغراب، من البعث بعد الفناء، ومن النّشور للأجساد المتناثرة في القبور.

سرُّ اختيار لفظ ﴿يُعِيدُهُۥ﴾:

سـرُّ الإبـداع والإعجاز إعادةُ الخلق سيرته الأولى

آثرت الآية لفظ ﴿يُعِيدُهُۥ﴾ دون (يُرْجِعُهُ)، لِما في الإعادة من إرجاع الخلق، إلى حاله الأولى الّتي كان عليها[2]، وهو ما لا يدلّ عليه لفظ الإرجاع[3]؛ إذ العود يكون إلى التّراب، وهو المبدأ والمنطلق[4]، ومحلّ الاستدلال، أن يعود الإنسان كما بدأ، بمكوّناته الأولى، من اللّحم والدّم والعظام، ومن المشاعر والعواطف والأحاسيس، فتعود وظائف جسمه سيرتها الأولى، كأن لم يطرأ عليها موت، ولم يصبها فناء.

بلاغةُ الطّباق بين ﴿يَبْدَؤُاْ﴾ و﴿يُعِيدُهُۥ﴾:

توجيهُ النّظر إلى وجوه الاختلاف

بين ﴿يَبْدَؤُاْ﴾ و﴿يُعِيدُهُۥ﴾ طباق بليغ، إذ البدء إيجاد من عدم، وإنشاء بغير مثال منصرم، والإعادة رجوع ومطابقة لما كان، وفي ذكر الطّباق بين البدء والإعادة، توجيه للنّظر إلى جوانب الاختلاف بين الحالين، والمقارنة بين أيّهما يكون الأهون والأيسر، وهي لفتة أخرى إلى مدى انغلاق عقول الكفّار، حين جعلوا الأدنى أعلى، مع أنّهما في قدرة الله سيّان، ولا غرابة أن يعيد الله بمعجزة باهرة، ما كان بدأه بمعجزة ظاهرة.

(1) الطيّبيّ، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرّيب: 12/ 236.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصل: (عيد).
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 18/ 11389.
(4) الرّاغب، المفردات: (رجع).

بلاغةُ فنّ الاستخدام في الآية:

الله تعالى قادر حكيم، لا يعجزه خلق، ولا إعادة بعث

في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ فنّ الاستخدام، وهو فنّ دقيق غامض المسلك، ويكون مجسّدا في أحد وجهيه، بإطلاق لفظ مشترك بين معنيين مطلقا، فيريد بذلك اللّفظ أحد المعنيين، ثمّ يعيد عليه ضميرًا يريد به المعنى الآخر، أو يعيد عليه ضميرين يريد بأحدهما أحد المعنيين، وبالآخر المعنى الآخر، بعد استعماله في معناه الثّالث، وهذا هو المذهب المشهور في الاستخدام، وهو طريقة صاحب الإيضاح ومن تبعه، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾، أعاد الضّمير وهو قوله ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾، على الخلق بمفهومه الآخر، وهو المخلوق لا بمفهومه الأوّل، وهو المصدر[1].

بيانُ فنّ المذهب الكلاميّ في الآية:

حجّةُ الله على العباد ظاهرة، ودلائله في الخلق قاهرة

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾، فنّ المذهب الكلاميّ، وأوّل من اخترعه الجاحظ، وزعم أنّه لا يوجد منه شيء في القرآن الكريم، ولكنّه مشحون به، ويعرّفه البلاغيّون بأنّه احتجاج المتكلّم على ما يريد إثباته، بحجّة تقطع المعاند له على طريقة أرباب الكلام ومنه نوع تستنتج فيه النّتائج الصّحيحة من المقدّمات الصّادقة، قال ابن عاشور في معرض تعليقه على هذه الآية: "وهَذا أشْبَهُ بِالتَّسْليم الجَدَليِّ في المُناظَرَةِ، ذَلِكَ لِأنَّهم لَمّا اعْتَرَفوا بِأنَّ اللَّه هو بادِئُ خَلْقِ الإنْسانِ، وأنْكَروا إعادَتَهُ بَعْدَ المَوْتِ، واسْتُدِلَّ عَلَيْهِمْ هُنالِكَ بِقياسِ المُساواةِ، ولَمّا كانَ إنْكارُهُمُ الإعادَةَ بَعْدَ المَوْتِ مُتَضَمِّنًا تَحْديدَ مَفْعولِ القُدْرَةِ الإلَهيَّةِ، جاءَ التَّنازُلُ في الِاسْتِدْلالِ إلى أنَّ تَحْديدَ مَفْعولِ القُدْرَةِ لَوْ سَلِمَ لَهم لَكانَ يَقْتَضي إمْكانَ البَعْثِ بِقياسِ الأحْرى فإنَّ إعادَةَ المَصْنوعِ مَرَّةً ثانيَةً أهْوَنُ

(1) محيي الدّين درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 498.

عَلى الصّانعِ مِن صَنْعَتِهِ الأولى وأُدْخِلَ تَحْتَ تَأْثيرِ قُدْرَتِهِ فيما تَعارَفَهُ النّاسُ في مَقْدوراتِهِمْ"[1].

دلالةُ (الواو) مطلع الجملة الإسميّة:

بيانُ أنّ إعادة الخلق بالبعث، أهون من ابتدائه بالإيجاد

ابتدأت جملة ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ﴾، بحرف الواو، وهي واو الحال؛ إذ حين إعادة شيء يتّصف الأمر باليسر والهون، ممّا يكمّل صورة المقارنة بين البدء والإعادة؛ إذ الإعادة خلق على مثال، والّذي أوجد الشّيء أوّل مرّة، هو أعلم بأسراره وخصائصه، وهو أقدر على إعادته كما هو، بعد أن أبدعه وجمّله، وسوّاه في أحسن صورة وعدّله.

مرجعُ الضّمير (هو) في الجملة الإسميّة:

الاستدلالُ بقدرة الله تعالى، على أنّ البعث عودٌ على بدء

عبّر سياق الآية بالضّمير (هو)، في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ﴾، ويرجع الضّمير إلى تأكيد إمكانيّة الإعادة دون افتئات، بالإيمان ببعث من مات[2]، على أنّ العود الّذي ينكره الكفرة، هو أهون من عمليّة البدء المقرّرة، فالإعادة تكون بإرجاع الخلق كما كان[3]، والضّمير يشير إلى الإعادة، الّتي بها يتاح الإمكان، لإحكام الاستدلال، على أنّها نسجٌ على المنوال، واللّه يوجد من عدم بقدرته، ويعطي من عُدِمَ بقيّوميّته، بحيث لا يتأبّى على قدرته شيء، ولا يعجزه شيء؛ إذ كلّ صعب له يهون، وقد أسلس لأمره الحرون، ووقع بحكمه ما قيل هيهات لا يكون.

نكتةُ التّعبير بالحال الجملة دون المفرد:

البعثُ أهون على الله، مع أنّ البدء والإعادة منه جلّ في علاه

جاء التّعبير عن الحال بالجملة ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ﴾، دون المفرد (هيّنا)، لما في الجملة الحالية من الفصل، الّذي يعطي دلالة جديدة للجملة السّابقة، فالجملة الأولى نسبت بدء الخلق وإعادته

(1) محيي الدّين درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 499.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 476.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: 4/ 206.

للّه ﷻ، في حين ركّزت الجملة الثّانية على المقارنة بينهما، من حيث السّهولة والصّعوبة، فصار الاستدلال بها واضحًا، وتدرّج الاستدلال من ثبوت الفعلين للحقّ ﷻ، والمقارنة العامّة بينهما، إلى تفنيد ما اعتقده الكفّار، من استحالة الإعادة، مع أنّها أسهل وأمكن.

دلالةُ التّعبير بلفظ ﴿أَهْوَنُ﴾، بوزن (أفْعَلُ):

المفاضلةُ بين البدء والإعادة، استدلالا بتلك على هاته

آثر سياق الآية لفظ ﴿أَهْوَنُ﴾، مصوغًا بصيغة التّفضيل (أفْعَلُ)، الدّالّة في أصل معنى الهوان، على اليسر والسّهولة، لما في الإعادة من الصّنع على مثال سبق، ممّا ييسّر العمليّة، فتصير الإعادة ضئيلة المعنى، أمام بدء الخلق، ودلالة الصّيغة على التّفاضل بين بدء الخلق وإعادته، يقوم على اعتبار الفعل ذاته، دون نظر إلى فاعله، وتلك قاعدة عامّة، أنّ من بدأ شيئًا من عدم، كانت قدرته على إعادته أبين وأوضح، وأمكن وأفسح، والحاصل أنّ ذلك جاء على سبيل التّسليم الجدليّ[1]، للكفّار الّذين آمنوا بابتداء الخلق، وأنكروا الإعادة بالبعث بعد الموت، واعتبروا ذلك مستحيلًا، فجاء السّياق مرخيًا لهم العنان، وتمّ خطابهم من وحي ما يتصوّرون[2]، بمراعاة مداركهم وملابسات خطابهم، ومستوى التّفكير الّذي قام عليه التّعبير، وتأكّد به التّفاضل، في ذات الفعل، لا باعتبار الفاعل[3]، فكلا الفعلين على اللّه هيّن.

معنى (على) في القيد ﴿عَلَيْهِۚ﴾:

بيانُ أنّ الاستعلاء صعوبةٍ وشدّةٍ، وكلفة ومشقّة

قُيّد فعل الإعادة بحرف (عَلَى)، في قوله: ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ﴾، وحرف (عَلَى) يدلّ على الاستعلاء، أي إنّ الإعادة أهون على الحقّ ﷻ، من بدء الخلق، وكلاهما على اللّه هيّن، وفي الاستعلاء إشارة إلى ما اعتقده الكفّار، بأنّ إعادة الخلق مستحيلة، لصعوبتها وعدم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 83.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 386.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 83.

إمكانها، فكيف يُصيّر الشّيء حيًّا بعد عدم؟ وكيف يتحوّل العظام الرّميم إلى عظام تكسى لحمًا؟ فكأنّ الإعادة صارت مكلِّفة وعسيرة، والنّظر إليها من هذه الزّاوية، يقلب الرّؤى، ويعكس المفاهيم، الّتي حرص السّياق في هذه الآية على تصحيحها، وإزالة ما علق بها من غبش، بإحقاق الحقّ، وإبطال الباطل.

دلالةُ التّقييد بالجارّ والمجرور ﴿عَلَيۡهِۚ﴾:

دفعُ ما لا يتناسب مع قدرة المبدئ المعيد

قُيّد الهوان بالجارّ والمجرور ﴿عَلَيۡهِۚ﴾؛ ليحوّل كلّ استعلاء في الإعادة إلى أضدادها؛ فالإعادة أيسر وأسهل وأطوع، كأنّ بين الهوان والجرّ بحرف الجرّ تضادّ، ولكنّه ينتفي بما جُرّ به الحرف، وهو الضّمير العائد على الله تعالى، المبدئ للخلق، والمعيد لمن يريد، فالّذي يبدأ - في منطق العقل وواقع النّاس - لا يصعب عليه أن يعيد ما بدأه كرّة أخرى، فكيف بالله القادر على كلّ شيء؟ وهو الّذي لا فرق عنده بين الابتداء والإعادة، لأنّه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء.

دلالةُ المتشابه بين ﴿أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ و﴿عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾:

صعوبةُ الأمر تقتضي التّقديم، وبعكسه المتيسّر الهيّن

تشابه التّعبير بالهوان في القرآن الكريم، مع تأخير الصّلة في قوله تعالى هنا: ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾، وتقديمها في قوله سبحانه: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾ [مريم: 9]، وتوجيه ذلك هو أنّ تقديم الصّلة هناك يدلّ على الاختصاص[1]؛ لأنّه جاء في مقام خرق العادة[2]؛ فإنّ كان خلق ولد من غير سبب مستعصيًا عليكم، فهو على ربّكم هيّن، في حين أنّ الإعادة هنا لا تستدعي هذا الاختصاص ليُسرها، ولذلك عبّر بأنّه الإعادة أهون من الابتداء[3]، وكلٌّ منهما أمام قدرة الله سواء، لأنّه تعالى يوصف بالقدرة على الخلق، لكلّ ما أراد أن يخلقه، ولا يستثنى

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 476.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرّيب: 12/ 235.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 76.

من المخلوقات والأفعال أحد ولا شيء، يمكن أن يتأبّى على إرادة الله الّتي تقول للشّيء كن فيكون.

معنى (الواو) في جملة ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾:

التّفاضلُ مثل لما يسهل ويصعب وينقاس في عرف النّاس

عُطِفت جملة ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ على قوله: ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾؛ ليدلّ على أنّ ما ضربه من التّفاضل بين إعادة الخلق وابتدائه سهولة وهوانًا، إنّما هو مثال للإفهام والحجاج[1]، وأنّ قوله: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾، أي الوصف الأعلى الّذي ليس لأحد غيره، وقد عرف به كمالًا، ووصف في السّموات والأرض، على ألسنة الخلائق الباهرة، وألسنة الدّلائل الظّاهرة، وهو أنّه القادر الّذي لا يعجز عن شيء، من إنشاء وإعادة وغيرهما، من المقدورات[2].

معنى (اللّام) في قوله ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ﴾:

المثل الأعلى لله استحقاق، لما له من كمال وجلال

تعلّق المثل الأعلى بالله سبحانه بحرف (اللّام)، وهي دالّة هنا على الاستحقاق، أي" ثبت له واستحقّ الشّأن الأتمّ الّذي لا يقاس بشؤون النّاس المتعارفة وإنّما لقصد التّقريب لأفهامكم"[3]، فالله ﷻ يستحقّ المثل الأعلى، وهو ثابت له سبحانه، فلا يُقاس عليه أحد، ولا يصلح معه تمثيل وتشبيه، بما في الخلق، فالكمال كماله، لذلك فالابتداء والإعادة عنده سواء، وإن كان ذلك عندكم درجات.

نكتة تقديم متعلّق الخبر (لَهُ):

بيانُ اختصاص الله بالكمال، ودفع العجز عنه والكُلْفة

قُدّم متعلّق الخبر (لهُ) على المبتدأ ﴿ٱلۡمَثَلُ﴾ في قوله: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، لإفادة الاختصاص؛ فالمثل الأعلى لله خاصّة[4] وليس لغيره[5]، في مقارنة مع غيره ﷻ؛ فلا تصحّ مقارنة ولا تمثيل، وهو

(1) السّمين الحلبي، الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون: 9/ 40.
(2) النّسفيّ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 2/ 698.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 84.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 15/ 77، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 38.
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 477.

ردّ على الكفّار اعتقادَهم باستحالة إعادة الخلق، فالله على كلّ شيء قدير، وفي البخاريّ عن أبي هريرة ﷺ، عن النّبيّ ﷺ قال: «قال الله تعالى: كذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأمّا تكذيبه إيّاي، فقوله: لن يُعيدني كما بدأني، وليس أوّل الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأمّا شتمه إيّاي، فقوله: اتّخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصّمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفوًا أحد»[1]، وقد خاطب السّياق المعاندين بمستوى فهمهم، ونبّه في هذا المضمار، إلى أنّ من كان له المثل الأعلى، فلا يوصف بهوان شيء عليه ولا استحالة، لأنّه لا يعجزه شيء.

دلالةُ التّعبير بلفظ ﴿ٱلْمَثَلُ﴾ معرّفًا:

بيانُ ما لله تعالى من كمال الشّأن وتمام التّميّز

عبّرت الآية بـ﴿ٱلْمَثَلُ﴾ لله ﷻ معرَّفا بـ(أل)، ويدلّ المَثَل على المعنى الأتمّ[2]، أي: إنّه سبحانه في تمثيل الكمال كامل، فلا أعلى منه شأنا، وهو ما زادته اللّام دلالة، أي: أنّه سبحانه الأتمّ في صفاته ومناسبته، وفي ذلك إشارة إلى أنّه لا يصحّ أن يوصف إلّا بالقول المناسب لعلوّ منزلته سبحانه[3]، فلا نقيسه بغيره إلّا تقريبًا للأفهام[4]، "وذلك لأنّه لما جعل ما ذكر أهون عليه على طريق التّمثيل، عقبه بهذا، فكأنّه قيل هذا، لتفهم العقول القاصرة أنّ صفاته عجيبة، وقدرته عامّة، وحكمته تامّة، فكلّ شيء بدءًا وإعادة، وإيجادًا وإعدامًا، عنده على حدّ سواء، ولا مثل له ولا ندّ"[5].

نكتةُ وصف ﴿ٱلْمَثَلُ﴾ بـ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾:

خلقُ الله كمال على كمال، فلا معنى للرّيبة في إعادة الخلْق

إذا كان ﴿ٱلْمَثَلُ﴾ يحمل معنى الشّأن التّامّ والوصف الأنسب، فإنّ

(1) الحديث صحيح، وهو مرويّ عن عبدالله بن عبّاس في صحيح البخاريّ، رقم: 4482.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 38.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 84.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 84.
(5) القاسميّ، محاسن التّأويل: 8/ 12.

في وصفه بالأعلى، زيادةَ تمام على تمام، ووصف للكمال بالكمال؛ فهو العليّ الّذي ليس لغيره أن يساويه أو يدانيه[1]، وفي ذلك تأكيد للمعنى، وإبعاد لكلّ ريب، في إمكان إعادة الإنسان للحياة بعد حين من الدّهر من الوفاة، فهو سبحانه الكامل، قدرة وحكمة ومثلًا أعلى، وقد بدأ الخلقَ؛ فهل يستحيل معه إعادة الخلق بعد فناء؟.

دلالةُ صيغة ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ في السّياق:

تفاضلٌ في العلوّ إلى المثل الأعلى، الّـذي هـو المثل الأكمل

آثرت الآية لفظة ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ بصيغة الأفْعَل دون الفاعل أي (العالي)؛ لما في صيغة (الأفْعل) من المفاضلة، كأنّ ثمة عاليًا وأعلى، وكلّ ما دونه دانٍ وإن علا، وليس لغيره ما يدانيه، في صفات الكمال فضلًا عمّا يساويها[2]، ثمّ يزداد التّرقّي في درجات التّفاضل في الكمال، إلى أن يبلغ المنتهى[3]؛ فلا أعلى إلّا الله سبحانه، وهو المتفرّد بالجلال الّذي لا يُشابَه ولا يُضاهى، ولا يقارن ولا يُماثل[4].

معنى ﴿فِى﴾ في قوله: ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾:

المـثـلُ الأعـلى فـيـمـا يـعـرفـه عـامّـة الـنّـاس، ومـا يـصـفـه أهـل النّـظـر بالمراس

قيّد المثل الأعلى بحرف ﴿فِى﴾، في قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ويدلّ هذا الحرف على الظّرفيّة، فأيّ شيء في السّماوات والأرض هو الأعلى مثلا غيره سبحانه؟ وفيه مراعاة للمخاطبين؛ إذ مجال نظرهم هو السّماوات والأرض وما يعرفونه[5]، فجاء الخطاب بما يفهمون[6]؛ فلا شيء أعلى وأمثل منه ﷻ، ويمكن أن يدلّ على الموجودين في ذلك المجال؛ فيكون الحرف ﴿فِى﴾ بمعنى (عِنْدَ أهْلِ السَّماواتِ والأرْضِ)، فهو سبحانه موصوف بالمثل الأعلى، وموسوم بالشّأن الأتمّ، عند من أنعم النّظر وأعمل الفكر، أي: ثبت

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل وأسرار التأويل: 4/ 206.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 58.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 84.
(4) الشّعراوي، تفسير الشّعراويّ: 18/ 11391.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 38.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 77.

له واستحق الشّأن الأتمّ الّذي لا يقاس بشؤون النّاس المتعارفة[1]، فهو المثل الأعلى فيما يعرفون، والنّموذج الأوفى فيما يصفون، "أي الوصفُ الأعلى العجيبُ الشّأنِ من القدرة العامَّةِ، والحكمة التّامةِ، وسائر صفاتِ الكمال الّتي ليس لغيرِه ما يُدانيها فضلًا عمّا يساويها[2].

معنى (أل) في لفظي ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾:

مجالُ النّظر، ومحلّ العبر، إلى المثل الأعلى المعتبر

ذُكرت السّماوات والأرض معرّفة بـ(أل)، وهي العهديّة، فالسّماوات والأرض هي المعهودة عند المخاطبين، فهي مجال النّظر، ومناط الفكر، ومن خلالها تُبنى المعارف، فمن تأمّل في خلقها، ونظر في عظيم اتّساعها، وكمال اتّساقها، استحضر المثل الأعلى فيها، وهو موجدها وباريها، واستحضر مع ذلك جليل قدرته تعالى، على خلق البشر، إذْ من أهمل فيها النّظر، لا يتسنّى له أن يذّكر أو أن يعتبر.

دلالةُ الجارّ والمجرور ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾:

تأكيدٌ أنّ الله تعالى، موصوف عن استحقاق بالمثل الأعلى

عبّرت الآية بالجارّ والمجرور ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، باعتباره صفة للمثل الأعلى، أي ﴿ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ الموصوف بأنّه ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، فهو وصف لله ﷻ في أهل السّماوات والأرض، ممّن أنعم النّظر، وأيقن بالحقّ وبصر، فالجارّ والمجرور متعلّق بمحذوف نعتا[3]، ويمكن أن يكون حالا للمثل الأعلى، أي: أنّ استحقاقه المثل الأعلى، مستقرّا في السّماوات والأرض، فالجارّ والمجرور متعلّق بمحذوف حالا[4]، فهو أمر ثابت مستقرّ في السّماوات والأرض، وإن لم يقرّ هؤلاء الكفّار به.

دلالةُ جمع ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وإفراد ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾:

إذا شهد أهل السّماوات بعظمة الخالق، فأهل الأرض من باب أولى

جُمعت ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وأفردت ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 84.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 58.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 84.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 84.

﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، دلالةً على كثرة من يشهد لله بالمثل الأعلى في السّماوات، بكثرة أهلها واتّساعها، مقارنة بمن في الأرض الّتي جعلها الله للأنام، فإن لم يشهد لِذلك أهل الأرض، فأهل السّماوات يقرّون لله بالمثل الأعلى، ولا شكّ أنّ أهل الآرض لا ينفكّون عمّا شهد به أهل السّماء، وكلاهما خلق الله المقرّون له بالوحدانيّة والخلق والإمداد.

معنى (الواو) في جملة الفاصلة:

عُطفت جملة ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ على جملة ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، عطفَ خاصّ على عامّ، وبيان مثالٍ على الكمال[1]؛ ومن تجلّيات المثل الأعلى في السّماوات والأرض، أنّه سبحانه العزيز الحكيم، لذلك سوف يعيد الخلق، بعد الفناء والتّلاشي، وقد عاد الخطاب إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾، كأنّ هذه الجملة هي المعطوف عليها، وأنّ جملة ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، جملة معترضة توسّطت بينهما، فانتقل الخطاب من كمال القدرة، إلى كمال العزّة والحكمة، لبيان مقصد إعادة الخلق، إظهارا للحقّ، بصفة الإعزاز وتمام الحكمة.

العزّة نموذج للمثل الأعلى، والحكمة بيان لمقصد إعادة الخلق

دلالةُ تقديم الضّمير (هو) في السّياق:

يدلُّ تقديم الضّمير (هو) الجملةَ ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، على اختصاصه ﷻ، بتمام العزّة وكمال الحكمة، ولذلك كان وحده ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2]، وقد جاء السّياق، وكأنّه يقول: لا تقيسوا قوّتكم بقوّته؛ لأنّه العزيز، ولا تقفوا عند حدود عقلكم؛ لأنّه الحكيم.

الاختصاص بكمال العزّة والحكمة، مفصح عن الجلال والعظمة

دلالةُ (أل) في لفظي ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

عُرّف لفظا ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ بالأداة (أل)، وهي لكمال

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 84.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 78.

الجنس، فهو الكامل في العزّة؛ فلا يعجز عن شيء، ولا يأبى عنه شيء سبحانه، وهو التّام في الحكمة؛ يجري كلّ أمره على حكمة[1]، ولا ريب أنّه الْعَزِيزُ بمعنى أنّه المنيع في قدرته، أو القويّ في انتقامه، وأنّه الْحَكِيمُ في تدبيره، أو ذو الحكمة في إعذاره وحجّته إلى عباده[2].

كـمـالُ الـعـزّة والحكمة، بتمام مقتضياتها

وجهُ مناسبة لفظ (الحكمة) للفظ (العزّة):

ناسبتْ صفة الحكمةِ صفة العزّة، في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ من حيث إنّ إفناء الخلق ثمّ إعادتهم، يدلّ على العزّة وكمال القدرة، لكونه العزيزَ القادر الّذي لا يعجز عن إبداء ممكن وإعادته، لتمكّنه من نواصي المخلوقات، ومعرفته بأحوالهم ومآلهم، وهو الحكيم الّذي تجري الأفعال على مقتضى حكمته، فلا حركة ولا سكون في ملكه الواسع إلّا بإرادته وأمره، وبقدره وتقديره[3]، لذلك كان كمال العزّة بتمام الحكمة، وصارت إعادة الخلق، من مقتضيات الحكمة، فهو يعيد الخلق للحساب، ويبعثهم للجزاء، فناسبت الحكمة العزّة.

تـكـمـلُ الـعـزّة بتمام الحكمة، وكلاهما صفتان لله الآجلّ

نكتةُ تقديم صفة ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ على ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾:

تقدّمت صفة ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ على ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾؛ لأنّ الحكمة تظهر وتكمل، في الفعل، بابتداءِ الخلق، وإعادته بعد موات، وقد تقدّم ذكر العزّة الّتي بها يكون الخلق والإفناء، وبها تكون الإعادة والحياة، فتتجلّى حكمة الله في تلك الأفعال المعجزة، والجارية بعلم رشيد، وتقدير سديد، ولا ريب أنّ الحكمة تتجلّى في أكمل صورها، وأجلى معانيها، في إعادة الخلق؛ لأنّ في ذلك رحمةً بالعباد، فيما قدّر تعالى وأراد.

يـتـجـلّى تـمـام الـحـكـمـة في التّسيير، بتمام العزّة في التّقدير

وجهُ مناسبة العزّة والحكمة لمضمون الآية:

خُصّت صفتا العزّة والحكمة، بابتداء الخلق وإعادته، لتمام المناسبة بينهما؛ فبالعزّة والقدرة، يكون تمام الخلق، وبهما يفنى

لا تـمـام للمثل الأعـلـى فـي الـسّـمـاوات والأرض، إلّا بكمال العزّة والحكمة

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 477.
(2) العزّ بن عبد السّلام، تفسير القرآن (مختصر لتفسير الماورديّ): 2/ 527.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: 4/ 206 (بتصرّف).

كلّ شيء، وبهما يعود الخلق سيرته الأولى، وهذا الأمر يسري على السّموات والكون برمّته، قال تعالى في محكم التّنزيل: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: 104]، ولا غرو أن نشير إلى أنّ الحكمة تتجلّى في كمال الخلق، وفي إتقان الصّنع، وفي فلسفة الفناء، وفي بعث الخلائق بعد البرزخ، لينال كلٌّ جزاءه، قال ابن عاشور: "ومن آثار القدرة والحكمة، أنّه يعيد الخلق بقدرته، وأنّ الغاية من ذلك الجزاء، وهو من حكمته"[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القنوت والطّاعة:

القنوت طاعة مطلقة دائمة، والطّاعة انقياد لمطلوب، وتكون طوعا أو كرها

القنوت في كلام العرب، له معانٍ عدّة، منها: الطّاعة، كما قال ﷻ: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [البقرة: 116]، معناه: كلٌّ له مطيعون[2]، والقانت: الذّاكر لله، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزّمر: 9][3]، والطّاعة أن ينقاد الطّائع للمطاع، ويقال لمن وافق غيره: قد طاوعه[4]، ويجتمع القنوت والطّاعة في معنى الموافقة واللّين، فالطّاعة من المطاوعة، وهي الموافقة والاستجابة، والقنوت من اللّين والانقياد[5]، إلّا أنّ الطّاعة انقياد لمطلوب[6]، وقد تكون طوعًا كما تكون كرهًا[7]، فيكون في المطيع ما لا يمنعه من العصيان، لكنّه يطيع، في حين أنّ القنوت لين أصيل، وسكون وانقياد ذاتيّ، فصار القنوت درجة في الطّواعية، يرقى إليها الطّائعون بوصفها طواعيّة تامّة، وبذلك فهي أنسب لسياق

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 84.
(2) أبو بكر الأنباريّ، الزّاهر في معاني كلمات النّاس: (قنت).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (قنت).
(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة: (طوع).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصل: (قنت).
(6) العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة بترتيب وزيادة للمحقق بيت الله بيات، ص: 137.
(7) العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة بترتيب وزيادة للمحقق بيت الله بيات، ص: 334.

الآية الدّالِ على خضوع كلّ ما في السماوات والأرض لله تعالى ملكًا مطلقًا له سبحانه.

الابتداء والإنشاء:

الابتداء شروع في العمل بلا سبق، والإنشاء يكون بتجدّد

يقال أنشأ الله تعالى السّحاب: رفعه، في التّنزيل ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ [الرّعد: 12]، (و) أنشأ فلان (الحديث: وضعه)، وأنشأ فلان حديثا، أي ابتدأ حديثا ورفعه، وقوله تعالى: ﴿*وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ [الأنعام: 141]، أي: ابتدعها وابتدأ خلقها[1]، وأنشأه اللهُ: خَلَقه، وأبدعه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأنعام: 98][2]، ويجتمع الإنشاء والابتداء في الإحداث والإيجاد، ويتميّز الإنشاء، بأنّه تجدّد في الإحداث حالًا بعد حال[3]، في حين أنّ الابتداء هو الإيجاد لأوّل مرّة دون سبق[4]، فهو إيجاد مِن لا شيء، وإيجاد على غير مثال، وعليه فالابتداء إيجاد دون سبق، والإنشاء تجدّد حال، ولمّا كانت السّماوات والأرض إحداثًا مبتكرًا على غير مثال سابق ناسب لفظ الابتداء.

الهَوْن واليُسر:

الهون عادة ما يكون لضعف، واليسر يستعمل لقلّة

يجتمع الهَوْن واليسر، في السّهولة والخفّة، لذلك صحّ أن يطلق كلّ واحد منهما على الآخر، كما في قوله هنا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [العنكبوت: 19]، والهون: هوان الشّيء الحقير، والهيّن: الّذي لا كرامة له، أي: لا يكون على النّاس كريمًا، وأهنت فلانا، وتهاونت به، واستهنت به، والمؤمن استهان بالدّنيا[5]، وفي التّنزيل: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ﴾، أي كلّ ذلك هيّن على

(1) الزّبيديّ، تاج العروس: (نشأ).
(2) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (نشأ).
(3) العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة بترتيب وزيادة للمحقق بيت الله بيات، ص: 80.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (بدأ).
(5) الخليل، كتاب العين: (هون).

اللّه، وليست للمفاضلة، لأنّه ليس شيء أيسر عليه من غيره[1]، إلّا أنّ بينهما افتراقًا؛ من حيث إنّ الهَون لضعفه سَهُلَ وخفّ، وبذلك أُطلق الهيّن على الذّليل الضّعيف[2]، في حين أنّ اليسر لقلّته خفّ وسهل أيضًا، ولذلك أُطلق اليسير على القليل[3]، فاختلفا باختلاف سبب السّهولة.

المثَل والوصف:

المَـثَـل كـمـال وصـف، وتـمـام مناسبَة

إذا كان المَثل وصفًا، فيقال: ضربت لفلان مثلا، أي: وصفت له شيئًا، وأنّ مثل هذا كمثل هذا، أي: صفته كصفتِه[4]، فمثل الشّيء صفته، وقوله عزّ من قائل: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [محمّد: 15]، معناه صفة الجنّة، وذهب أبو عليّ، إلى أنّ معناه التّمثيل[5]؛ لأنّ (مثل) لا يوضع في موضع صفة، إنّما يقال: (صفة زيد أنّه ظريف، وأنه عاقل)، ويقال: (مثل فلان): المثل مأخوذ من: المثال والحذو، والصّفة تحلية ونعت[6]، والظّاهر أنّ بين المثل والصّفة فروقًا، فالمثل ليس أي وصفٍ كان، بل هو وصف دقيق لجانب من الجوانب المراد وصفُها، وذلك لمناسبته لتمام الحقيقة[7]، حتّى صار المثل مقولة سائرة، وصار هو الموصوف لا الوصف، يُقاس عليه غيره ويوصف، ولذلك سميّ المثل مثلا لأنّه يقاس عليه ويُضرب به لما يماثله، ومن هنا فهو أنسب لسياق نفي أن يكون للّه تعالى مثل؛ إذ له وحده المثل الأعلى جلّ في علاه في القدرة المطلقة التي منها بدء الخلق وإعادته.

(1) ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم: (هون).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصل: (هين).
(3) العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة بترتيب وزيادة للمحقق بيت الله بيات، ص: 434.
(4) العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة بترتيب وزيادة للمحقق بيت الله بيات، ص: 480.
(5) ابن منظور، لسان العرب: 11/ 611.
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (مثل).
(7) العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة بترتيب وزيادة للمحقق بيت الله بيات، ص: 480.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»